نظرية الوسط الأخلاقي

بين مسكويه والغزالي

دكتور/ جمال رجب سيدى

كلية التربية بالسويس

تمهيد:

اهتم فلاسفة اليونان بالفلسفة الخلقية ، وخاصة منذ سقراط الذى رفع شعار "اعرف نفسك" وتحولت الدراسات الفلسفية من البحث فى الطبيعة الخارجية إلى البحث فى الإنسان، ومن ثم أضحت الفضيلة علما والرذيلة جهلا عند سقراط. وظهرت فكرة معيارية الأخلاق وكان رائدها أيضا سقراط، فى مقابل نسبية الأخلاق والمعرفة عند السوفسطائيين وترتب على هذا القضاء على موضوعية الحقائق والقيم جميعا، لأن هذه تتوقف عندهم على وجدانيات الإنسان ومشاعره ومن ثم يتعذر إقامة قانون كلى عام للأخلاق(1).

وجاء أفلاطون وحاول أن يؤسس لفلسفته الخلقية، فالمدخل للولوج لفلسفة أفلاطون هو المدخل الخلقى ،ولهذا حاول أفلاطون أ ن يبحث عن خيرات النفس وعن فضائلها وسار على دربه أرسطو، دربه نسقا أخلاقيا يجمع بين النظر والعمل، أو المثال والواقع من منطلق مذهبه الذى يجمع غالبا بين الواقعى والمثالى واهتم بالأخلاق أيما اهتمام فى كتاباته كلها ،وأفرد لها بعض الكتابات مثل " الأخلاق النيقوماضية" والأخلاق الاوديمية.

انتقلت الفلسفة الخلقية من الحضارة اليونانية إلى الحضارة الإسلامية عند فلاسفة الإسلام .

واللافت للنظر، أن فلاسفة الإسلام لم يشيدوا فى البداية نسقا خلقيا فلسفيا، مثلما نجد عند رسطو ، إنما نجد أن آراءهم الخلقية اختلطت بمباحث الميتافيزيقا والطبيعيات مثلما نرى عند ابن سينا(مثلا).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبدو أن فلاسفة الإسلام قد وجدوا فى القرآن والسنة النبوية المطهرة، ما يغنيهم عن الاهتمام بالأخلاق (كعلم مستقل)، بل وجدوا مادة وفيرة فى السنة النبوية تحض على الفضيلة ومكارم الأخلاق.

ولم نجد محاولة إقامة نسق أخلاقى سوى عند مسكويه الذى حاول أن يؤسس لعلم الأخلاق كعلم له أصوله وغاياته، تأثر بالفلسفة اليونانية تارة وخاصة عند أفلاطون وأرسطو وبالشريعة الإسلامية تارة أخرى.

جاء الغزالى – بعده – ليعمق الفلسفة الخلقية فى الإسلام مستعيرا من ثقافته الإسلامية الكثير، وإن لم يتخلص من التأثر بالفلسفة اليونانية، بل كانت له قدرة نادرة على صهر الأفكار اليونانية داخل نسقه الفلسفى، وكأنما أضحت هذه الآراء والأفكار مولودا بكرا جديدا عنده.

والمشكلة التى تطرحها هذه الدراسة هى مشكلة الوسط الأخلاقى عند مسكويه والغزالى ومايرتبط بها من آراء وأفكار.

لقد عرف أرسطو فكرة الوسط الأخلاقى فى كتاباته، وحاول أن يربطها بالفضيلة وبماهية الفعل الخلقى ومن ثم ترتب على ذلك فكرة السعادة الغاية من الأخلاق" السعادة " . انتقلت هذه الفكرة إلى محيط البيئة الإسلامية وتأثر بها العديد من فلاسفة الإسلام أمثال الكندى والفارابى وابن سينا، ولم تظهر هذه الفكرة فى شكل نسق منظم يرتبط بالفلسفة الخلقية (كعلم) إلا منذ مسكويه ، واتضحت بصورة أكثر وضوحا عند الغزالى الذى أعارها جل عنايته.

ولعل بعض التساؤلات التى تطرح نفسها على نفس الباحث، ما الأسباب والدوافع التى حدت بكل من مسكويه والغزالى ... إلى الاحتفاء بهذه الفكرة ومعالجتها فى ضوء فلسفتها الخلقية؟.

أقول إن من أهم الأسباب التى تبدو لنا فى تبنى كل من مسكويه والغزالى لفكرة الوسط الأخلاقى فى مذهبهما أن هذه الفكرة لاتصطدم مع العقيدة الإسلامية التى آمنوا بها، بل إن العقيدة الإسلامية تحض على الوسطية فى كل جوانب حياتنا والقرآن الكريم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أشار إلى هذه الحقيقة " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " سورة البقرة آية: ١٤٣.

وكذلك السنة النبوية جاءت لتؤكد على هذه الحقيقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" خير الأمور أوسطها"[٢].

إن هذه الفكرة (الوسط الأخلاقى)، عندما تنقل من حضارة إلى حضارة أخرى تأخذ مدلولا جديدا يتناسب مع خصوصية الحضارة المنقولة إليها ، مع الأخذ فى الاعتبار أننا لاننكر فكرة التأثير والتأثر بين الأفكار والحضارات.

وعلى هذا ذهب بعض الدارسين إلى أن مسكويه كان يونانيا فى معالجته لهذه المشكلة وأنه لم يتأثر بالروح الإسلامية[٣] وذهب آخرون إلى أنه كان توفيقيا[٤] ومن جانبنا لانميل إلى التأثر بالأحكام المسبقة ، وإنما نجعل لغة الفيلسوف ونصوصه هى التى تظهر لنا الحقيقة، محاولين أن نقرأ الفكرة فى سياقها الكامل، أما الغزالى فهناك شبه إجماع على أن فلسفته تمثل الفلسفة الدينية الخلقية بمعنى أنه كان يشيد فلسفة خلقية تطرح نفسها على ميزان العقل والشرع، وسوف ندلل على هذه الحقائق، ورغم هذا فهناك علاقة تأثير وتأثر بينهما كما سيتضح من المعالجة.

ويمكننا أن نشير إلى أن هذه الدراسة تحتوى على العناصر الآتية:

- أولا: تعريف الأخلاق وعلاقتها بحقيقة النفس بين مسكويه والغزالى.
- ثانيا: الفضائل الأخلاقية وعلاقتها بقوى النفس عند مسكويه والغزالى .
- ثالثا: الوسط الأخلاقى بين مسكويه والغزالى .
- رابعا: السعادة وعلاقتها بالوسط الأخلاقى بين مسكويه والغزالى .

•••••

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا: تعريف الأخلاق وعلاقتها بحقيقة النفس عند ابن مسكويه والغزالي

أشرنا في تمهيدنا إلى أن العرب لم يعرفوا فكرة النسق الأخلاقي ، إلا بعد احتكاكهم بالأمم المجاورة وإطلاعهم على أخلاق متنوعة ترجع إلى ثلاثة أنواع : هي من القرآن ، والحديث والتوراة والإنجيل وفلسفي عند اليونان[٣].

ونود أن نشير في البداية، إلى تعريف الأخلاق عند كل من مسكويه والغزالي وعلاقته بحقيقة النفس.

يبدأ مسكويه بتعريف الخلق بأنه : حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولاروية[٦]، وهذه الحال منها مايكون طبيعيا كالذي تسوقه فطرته ومزاجه المبتل أو الإمساك أو الجبن والشجاعة ، ونحو هذه الحال ومنها مايرجع للعادة والمرانة كالذي يتعود الصدق في القول والشجاعة في العمل ويستمر على ماتعود حتى يصير له خلقا راسخا [٧].

ويستشهد مسكويه بأحوال السابقين، فالرواقيون ظنوا أن الناس كلهم يخلقون أخيارا بالطبع ثم بعد ذلك يصيرون أشرارا بمجالسة أهل الشر والميل إلى الشهوات الرديئة التي لاتقمع بالتأدب فينهمك فيها ثم يتوصل إليها من كل وجه ولايفكر في الحسن منها والقبيح[٨].

وقوم آخرون كانوا قبل هؤلاء وظنوا أن الناس خلقوا في الطينة السفلى وهي كدر العالم فهم لأجل ذلك أشرار بالطبع. وإنما يصيرون أخيارا بالتأدب والتعلم إلا أن فيهم من هو في غاية الشر لايصلحه التأديب ومنهم من ليس في غاية الشر فيمكن أن ينتقل من الشر إلى الخير بالتأديب من الصبا ثم بمجالسة الأخيار[٩].

فأما جالينوس فإنه رأى أن الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين[١٠].

ولما أرسطوطاليس فقد بين في كتاب الأخلاق وفي كتاب المقولات أيضا أن الشرير قد ينتقل بالتأدب إلى الخير ولكن ليس على الإطلاق لأنه يرى أن تكرار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لمواعظ والتأديب وأخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لابد أن يؤثر في ضروب الناس فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك إلى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك إلى الفضيلة ببطاء . ونحن نؤلف من ذلك قياسا وهو هذا : كل خلق يمكن تغييره. ولاشئ مما يمكن تغييره هو بالطبع . فاذا لاخلق ولا واحد منه بالطبع[١١].

والرأى الذى انحاز إليه أبو على بحق، هو أننا قابلون للتخلق بالأخلاق المختلفة إما بسرعة أو ببطء يشهد لذلك الواقع وملاحظة انتقال الصبى الناشئ من حال إلى حال تبعا للبيئة التى تحوطه ولنوع التربية التى يتلقاها .

ومضى الغزالى على نفس الدرب يوضح معنى الخلق : عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التىهى المصدر خلقا سيئا[١٣].

ويوضح الغزالى الفعل الأخلاقى ليس لمجرد العلم على حد تعبير سقراط الفضيلة علم، وإنما لهيئة النفس وصورتها الباطنة يقول : وليس الخلق عبارة عن الفعل ، فرب شخص خلقه السخاء ولايبذل إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل ويبذل إما لباعث أو رياء وليس هو عبارة عن القوة، لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء، بل إلى الضدين واحد . فكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك وذلك لايوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد، بل هو عبارة عن المعنى الواسع، وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل. فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة ، وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لايتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك فى الباطن[١٤].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونلاحظ أن الإمام الغزالى وإن كان متأثرا بتعريف الأخلاق عند مسكويه ، إلا أنه يختلف عنه فى طرح الفعل الخلقى على ميزان العقل والشرع، وينتهى الغزالى قريب مما ذهب إليه مسكويه فى أن البدن فى الابتداء لا يخلق كاملا ، وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء ، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم [١٥].

كما يذهب مسكويه إلى التأكيد على حقيقة، النفس ، لأن الطريق لتحصيل الخلق الفاضل الذى تنشأ عنه الأفعال الجميلة هو كما يقول – مسكويه – نفسه ، أن نعرف أولا نفوسنا : ماهى ، ماقواها ، وملكاتها ، وغاياتها التى فيها كمالها[١٦].

ويقرر مسكويه أن النفس ليست بجسم ولا عرض، وإنما جوهر بسيط، وقد تبين فى أوائل الفلسفة أن الجوهر لا ضد له، وما لا ضد له لا يبطل، وهى غير مركبة، فاذن لا تنحل[١٧].

وهكذا فإن النفس ومعرفة أحوالها فى نظرمسكويه هو أساس معرفتنا لسائر العلوم كالعلم الإلهى وعلم الأخلاق وعلم المنطق[١٨]. وبهذا يقترب مسكويه من أفلاطون بقدر ما ابتعد عن أرسطو[١٩] وإن لاحظنا دفاع مسكويه عن أرسطو بحيث يجعله قريبا من الروح الإسلامية، مع الأخذ فى الاعتبار أنه كان غير موضوعى فى هذا الصدد[٢٠].

مضى الغزالى يقتفى أثر مسكويه من حيث جوهرية النفس، وأنها تختلف عن طبيعة البدن كل الاختلاف فيقول: " النفس جوهر روحانى لطيف[٢١]، أو الروح حقيقة جوهرك"[٢٢].

وفى النهاية يمكننا القول إن مسكويه والغزالى قد أكدا على أن النفس من طبيعة جوهرية مخالفة للبدن كل الاختلاف ، وبذلك نكون قد مهدنا للحديث عن الفضائل الأخلاقية وعلاقتها بقوى النفس عند كل منهما.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا : الفضائل الأخلاقية وعلاقتها بقوى النفس عند مسكويه والغزالي:

ربط مسكويه بين الفضيلة، وقوى النفس المختلفة، وهو يحذو حذو أفلاطون فى تحليله لقوى النفس الثلاث، وكذلك فى الفضائل الأربع التى هى الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة(٢٣).

إن مسكويه فى كتابه (تهذيب الأخلاق) يرى أن قوى النفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القوة الأولى : وهى القوة الناطقة ، يسميها مسكويه (الملكية) وآلتها الدماغ..

القوة الثانية : هى القوة الغضبية، ويسميها " السبعية" ..

والقوة الثالثة: هى القوة الشهوانية ويسميها البهيمية وآلتها الكبد .

ويوضح – مسكويه – أن هذه القوى الثلاث متباينة ويعلم من ذلك أن بعضها إذا قوى أضر بالآخر(٢٤).

ويبين مسكويه أنواع الفضائل لكل قوة ، من قوى النفس:

أما الحكمة: فهى فضيلة الناطقة وهى أن تعلم الموجودات محلها من حيث هى موجودة وإن شئت فقل أن تعلم الأمور الإلهية والأمور الإنسانية ويثمر علمها بذلك أن تعرف المعقولات يجب أن يفعل وأيها يجب أن يفعل .

أما العفة : فهى فضيلة الحس الشهوانى وظهور هذه الفضيلة فى الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأى أعنى أن يوافق التمييز الصحيح حتى لاينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشئ من شهواته.

أما الشجاعة: فهى فضيلة النفس الغضبية وتظهر فى الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة واستعمال ما يوجبه الرأى فى الأمور الهائلة أعنى أن لا يخلف من الأمور المفزعة إن كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأما العدالة : فهى فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث التى عددناها وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها البعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك لنحو مطلوباتها على سوم طبائعها ويحدث للانسان بها سمة يختار بها أبدا الانصاف من نفسه على نفسه أولا ثم الانصاف والانتصاف من غيره له[٢٥].

ويتفق مسكويه مع ما ذهب إليه أفلاطون من قبل أن فضيلة العدالة مهمتها تحقيق الانسجام التام بين جميع الفضائل. فهى فضيلة موازنة بين مقتضيات وواجب كل قوة أو كل نفس من هذه الأنفس. ومن أجل هذا سميت بالعدالة و معنى ذلك أنه إذا ما تحققت هذه الفضائل الثلاث للأنفس بحيث خضعت الشهوانية للغضبية وخضعت الغضبية للعاقلة تحقق فى النفس النظام والانسجام[٢٦].

وينبهنا مسكويه إلى فضائل النفس وعلاقتها بقيمة الإنسان فى الوجود وكلما ارتقى الإنسان من النفس البهيمية، إلى النفس الناطقة، كلما ارتفع فى سلم الأخلاق، وهنا يربط مسكويه بين البعد النفسى وتحليله لقوى النفس المختلفة وبين البعد الأخلاقى فى ذروة سنامه.

يقول" وإذا كانت القوى ثلاثا فأدونها النفس البهيمية وأوسطها النفس السبعية وأشرفها النفس الناطقة. والإنسان إنما صار إنسانا بأفضل هذه النفوس أعنى الناطقة وبها شارك الملائكة وباين البهائم. فأشرف الناس من كان حظه من هذه النفس أكثر وانصرافه إليها أتم وأوفر . ومن غلبت عليه إحدى النفسين الآخرين انحط عن مرتبة الإنسانية بحسب غلبة تلك النفس عليه . فانظر رحمك الله تضع نفسك ، وأين تحب أن تنزل من المنازل التى رتبها الله تعالى للموجودات فان هذا أمر موكول إليك ومردود إلى اختيارك . فإن شئت فانزل فى منازل البهائم فانك تكون منهم . وفى كل واحدة من هذه المراتب مقامات كثيرة فان بعض البهائم أشرف من بعض لقبول التأديب...).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وينتهى – مسكويه – فيصير حينئذ فى الأفق الذى بين الإنسان والملك فيصير فيهم القابل للوحى والمطيق لحمل الحكمة فتفيض عليه قوة العقل ويسيح إليه نور الحق ولا حالة للإنسان أعلى من هذه مادام إنسانا(٢٧).

وكما لاحظنا أن مسكويه يركز على البعدين النظرى والعملى، فيرى أن السعادة لاتكون فى الفضيلة وحدها كما هو رأى سقراط ومن تابعه ، بل السعادة على الإطلاق عنده تكون بالجمع بين جزئى الحكمة النظرى والعملى: فبالفلسفة النظرية يمكن تحصيل الآراء الصحيحة والعلوم التى تنتهى بالعلم الإلهى،والتى إذا حصل عليها الإنسان ذهبت حيرته وسكن قلبه ، وظهر له الحق ، فكانت لذته بذلك لا تعدلها لذة، وبالفلسفة العملية يمكن تحصل الهيئة الفاضلة التى تصدر عنها الأفعال الجميلة ويصل المرء للكمال الأخلاقى(٢٨). وهكذا نجد مسكويه رغم أخذه الكثير من آراء الفلسفة اليونانية قد ربط السعادة فى النهاية بفعل كل ما يرضى الله وترك كل ما يغضبه(٢٩).

ولم يقتصر مسكويه ، على ذلك ، بل إنه يبين لنا كيف أن كل فضيلة تقابلها رذيلة على النحو التالى :

الفضيلة	ضدها
الحكمة	الجهل
الشجاعة	الجبن
العفة	الشره
العدالة	الظلم(٣٠)

ولقد أفاض مسكويه فى عرض الفضائل الفرعية، التى تتفرع عن الفضائل الأصلية، فالحكمة يتفرع عنها: الذكاء والتعقل، سرعة الفهم ...)، العفة يتفرع عنها الحياء، الدعة، الصبر، السخاء ، الحرية...)، الشجاعة يتفرع عنها : النفس، النجدة عظم الهمة...)، العدالة يتفرع عنها : الصداقة ، الألفة صلة الرحم...) (٣١).

ويتحدث الغزالى عن الفضيلة ، فيرى أنها ، حالة كمال للنفس تنالها إذا اعتدلت قواها فلم تجنح إلى الإفراط أو التفريط ، وإذا كان للقوة العاقلة سياسة القوتين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأخيرين. هذا الكمال إذا تم للنفس قربت من الله عز وجل بالمرتبة طبعا لا بالمكان، وذلك السعادة[٣٢].

والمتأمل فى تقسيم الغزالى لقوى النفس يساير التقسيم الأفلاطونى الذى استعاره فيما بعد مسكويه. ويربط الغزالى بين قوى النفس وفضائلها الثلاث ويجعل الفضيلة الرابعة على رأس الفضائل كلها لتحقيق التوازن والانسجام بين فضائل النفس المختلفة.

كما أننا نلاحظ أن الغزالى ، يفترق إلى حد كبير عن مسكويه فى طرح فلسفته الخلقية على الشريعة الإسلامية فى المبدأ والأساس ، بخلاف مسكويه الذى يطرح فلسفته الخلقية كأحد الأبعاد فى فكره. أو يمكننا القول على حد تعبير أحد الدارسين؛ أن اتجاه الغزالى غلبت عليه النزعة الدينية والصوفية واختلط بكثير من النظر الفلسفى ويمثل هذا الاتجاه الإمام الغزالى فى كتابيه" إحياء علوم الدين" ، " ميزان العمل" واتجاه آخر بنى نظريته على أسس فلسفية متأثرا تأثرا عظيما بالفلسفة اليونانية ويمثل هذا الاتجاه الكندى والفارابى وابن سينا وإخوان الصفا وابن مسكويه وابن باجة وابن طفيل وغيرهم[٣٣].

يوضح الغزالى ذلك فيقول : ومجامع القوى التى لابد من تهذيبها ثلاث: قوة الفكر، وقوة الشهوة، وقوة الغضب، ومهما هذبت قوة الفكر وأصلحت كما ينبغى حصلت بها الحكمة التى أخبر الله عنها حيث قال (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) " البقرة آية :٢٦٩" وثمرتها أن يتيسر له الفرق بين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الصدق والكذب فى المقال وبين الجميل والقبيح من الأفعال، ولا يلتبس عليه شىء من ذلك مع أنه الأمر الملتبس على أكثر الخلق[٣٤].

القوة الثانية : هى الشهوة وبإصلاحها تحصل العفة حتى تنزجر النفس عن الفواحش تنقاد للمواساة والإيثار المحمود بقدر الطاقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والثالثة : الحمية الغضبية وبقهرها وإصلاحها يحصل الحلم وهو كظم الغيظ وكف النفس عن التشفي . وتحصل الشجاعة وهي كف النفس عن الخوف والحرص المذمومين في كتاب الله تعالى.

وينتهي الغزالي بالعدالة : التي هي نتاج صلاح القوى الثلاث، فإذا ما ضبطت على الوجه الذي ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي وجعلت القوتان (الشهوانية والغضبية) منقادتين للثالثة التي هي الفكرية العقلية فقد حصلت العدالة، وبمثل هذا العدل قامت السموات والأرض وهي جماع مكارم الشريعة وطهارة النفس وحسن الخلق المحمود يقول عليه الصلاة والسلام (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا وألطفهم بأهله) (٣٥).

ومن جانب آخر يربط الغزالي بين قوى النفس واعتدالها وأن الاعتدال أو التوازن يعطي القوة فضيلتها، ولقد أسهب الغزالي في إيضاح هذه الحقيقة، خاصة في كتابه إحياء علوم الدين، يجدر بنا أن نشير إليها،إذ إن فكرة الاعتدال لا تصطدم مع فكرة الوسط عند أرسطو ومن ثم راقت للغزالي، بل أجد الغزالي يؤكد على مرجعيته الإسلامية في تأصيله للآراء والأفكار بخلاف مسكويه الذي يطرح نفسه على الفلسفة محاولا أن يعضد رأيه بالنظرة الشرعية، فالبون إذن بينهما شاسع.

يقول: فإذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة ، والعدل، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية. ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها . ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها،ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها(٣٦).

ويبلغ الغزالي غايته عندما يرى أن كمال الاعتدال في هذه الفضائل الأربع (الحكمة الشجاعة العفة العدل) ، لم يصل إلى هذا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه. فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به فى جميع الأفعال. ومن انفك عن هذه الأخلاق واتصف بأضداها استحق أن يخرج من البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد، فينبغى أن يبعد كما أن الأول قريب من الملك المقرب فينبغى أن يقتدى به ويتقرب إليه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق(٣٧).

هكذا يتراجع التفسير الفلسفى ، أمام التفسير الدينى لفضائل النفس عند الغزالى بعكس مسكويه، كما أن الغزالى أسهب فى الحديث عن الفضائل الفرعية متابعا مسكويه فى هذا الصدد(٣٨).

اعتقد أن عرضنا لفضائل النفس، يرتبط بموضوعنا الوسط الأخلاقى فما الوسط الأخلاقى عند الفلاسفة، إلا القانون الأخلاقى لضمان العدل والاعتدال بين قوى النفس، وإن كان هناك وجه التقاء بين هذه الفكرة (الاعتدال) والوسط الأخلاقى - الذى سنبحثه - تفصيلا- فإن مرجعية الغزالى تجلت فى نظرته الشرعية، وأن تمام الأخلاق قد تمثلت بأجلى معانيها فى شخص النبى محمد صلى الله عليه وسلم وهكذا يربط الغزالى بين النظر والعمل برباط وثيق، وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن الوسط الأخلاقى عند مسكويه والغزالى فى الصفحات القادمة؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا : الوسط الأخلاقى بين مسكويه والغزالى:

شغلت قضية الوسط* الأخلاقى الفكر الفلسفى الإسلامى ، مثلما شغلت أرسطو من قبل.

فلقد تأثر الفارابى مثل الكندى السابق عليه، ولكنها تتضح لديه أكثر فيأخذ فى بيان أن الفضيلة وسط بين رذيلتين، وهذا التوسط الأخلاقى ينقص فى الأوقات المختلفة وبحسب اختلاف الأشياء التى إليها يضاف فالغذاء المعتدل مثلا يختلف للصبى عنه للرجل التام الكدود سواء فى كميته أو كيفيته. بل إن المتوسط فى الأفعال قد يكون منها ماهو معتدل لطائفة دون طائفة وفى زمان ما، بل قد يكون منها ماهو معتدل للإنسان نفسه فى وقت دون وقت فالمتوسط فى الأفعال دائما متغير وغير ثابت حتى للفرد الواحد(٣٩).

ولم يكن ابن سينا بمعزل عن هذه الفكرة فيرى: أن الملكات المتوسطة بين طرفى الإفراط والتفريط فى الأمور المتعلقة بالشهوة والغضب تتعلق بها الفضائل اللواتى هى كالشجاعة والعفة وحسن التدبير الذى يسمى حكمة وتكون هى الفضائل والإفراطات والتفريطات تتعلق بها الرذائل فإن الجبن والتهور والخمود وا لفجور والجزيرة والغباوة رذائل(٤٠).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفكرة انتقلت من أرسطو إلى معظم فلاسفة الإسلام، ولكن مسكويه والغزالى اهتما بالفكرة فى نسقهما الخلقى، وربما أخذت الفكرة أبعادا و مدلولات مغايرة عن سياقها الأصلى، وأنها نمت وأينعت فى الحضارة الإسلامية وربما السبب كما أشرنا من ذى قبل إلى أنها لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية(٤١).

ويبدو لى أن طرح هذه المشكلة بشكل أكثر وضوحا عند مسكويه والغزالى يجعلنا نقف على أبعاد هذه الفكرة عند أرسطو، فما حقيقة التوسط الأخلاقى عنده؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفضيلة – عند أرسطو – وسط بين رذيلتين هما الإفراط والتفريط، وهذا الوسط إضافي لاحقيقي، فقد يكون أقرب لبعض الأطراف فى حالة، ولأضداها فى حالة أخرى[٤٢].

وتقوم الفضيلة لدى أرسطو على العلم والإرادة ، فعلى الإرادة يتوقف الاختيار وتحديد الغرض، أما العلم فهو الذى يحدد الوسائل المؤدية إلى تحقيق هذا الغرض، وفى هذا رد ضمنى على سقراط الذى كان يوحد بين العلم والفضيلة.

وهذه الحالة الاعتيادية عند أرسطو هى وسط بين رذيلتين وفى ذلك يقول الفضيلة استعداد مكتسب وراسخ للفعل الإرادى التأملى، وفقا لوسط عادل يتحدد بالنسبة إلينا، وكما يحدده العقل[٤٣].

ويوضح أرسطو مايقصده بالوسط العادل فيقول: الوسط العادل هو أن يفعل المرء مايجب عليه، وفى الوقت الذى يجب عليه فيه أن يفعل ، وفى الأحوال التى يجب فيها، تجاه الأشخاص الذين نحوهم يجب ذلك ، ومن أجل الغاية التى من أجلها يجب ذلك، وكما يجب[٤٤].

ويحدد أرسطو الشروط لممارسة الفضيلة، فهو يوصى العاقل باجتناب الإفراطات من كل نوع سواء كانت بالأكثر أم بالأقل ولايطلب إلا الوسط المستقيم[٤٥].

وهذا الوسط إضافى لأنه هو " الذى لايعاب لا بالإفراط ولا بالتفريط.

ويشير المرحوم محمد يوسف موسى إلى موقف التردد عند أرسطو بين إيمانه بأن الفضيلة علم مشايعا بذلك سقراط وأن الفاجر يقع بمحض اختياره، معتقدا أنه يلزم دائما طلب اللذة الحاضرة[٤٦] وأنه يمكن مع علمه يفعل ضد ماله من العلم، ثم يرتد مرة ثانية يلتمس علة لوقوع المرء العاقل فى الإثم بأن ذلك مأتاه خطأ فى الحكم بين الشهوات التى ترينا حسنا ماليس بالمحسن والتى لايمكن أن تقهر العلم الحق[٤٧].

ولعل بعض التساؤلات التى تطرح نفسها على ذهن الباحث، هل المعيار الأخلاقى الممثل فى الوسط الأخلاقى كان موضوعيا فى تطبيقه العملى عند أرسطو؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذهب أرسطو لتطبيق هذا المعيار على العديد من الفضائل ، فالفضيلة عنده – كما قلنا – وسط بين طرفين أو رذيلتين بمعنى أنها مرتبة معينة إذا قلت أو زادت أصبحت رذيلة فالشجاعة مثلا وسط بين الجبن والتهور إلى آخر الفضائل[٤٨].

لقد ذهب العديد من الدارسين والباحثين إلى نقد ونقض رأى أرسطو فى الوسط الخلقى فبعض هؤلاء الدارسين يرى: أن هذا الضابط لا ينطبق على كل الفضائل، فإن هناك فضائل لا يتصور فى حقيقتها وسط. فالصدق مثلا مطابقة الخبر للواقع فعلا لا يتصور فيه أن يغالى فيه أو ينقص منه أن يضبط بنظام محدد حتى يصبح فضيلة لأن يحتمل هذا أو ذاك ، فإما أن يطابق قولك الواقع فيكون صدقا وعندئذ فضيلة، وإما أن يخالفه فيكون كذبا وعندئذ رذيلة[٤٨].

ويطرح دارسنا هذه التساؤلات بقوله : من الذى يحدد هذا الوسط؟ إن ما اعتبره أمرا وسطا قد يبدو لغيرى أمرا دون الوسط أو فوقه فما الحكم؟ وما الميزان ؟ إن القول بأن الشجاعة أمر وسط بين الجبن والتهور يعتبر فلسفيا كالقول بأن الشجاعة جبن أو تهور نقص، وهذا غير مقبول ، نعم إن الاعتدال أمر محمود وقد شرعته وأوصت به الأديان ،ولكن النقطة الهامة التى نريد أن نوجه الاهتمام إليها هى أن الفضيلة أمر قائم بذاته لهو مقوماته الخالصة ولتوضيحها يمكن أن ينظر إلى ضدها ، لا على أن دونها أو فوقها بل على أنه ضد مغاير مستقل[٤٩].

وفى هذا الصدد يشير المرحوم الدكتور توفيف الطويل إلى أن أرسطو له مذهب معروف ، يقتضى الأخذ بالوسط الذهبى Golden means ورغم ذلك قد أساء بعض نقاده فهم مذهبه فى الوسط فظنوه وسطا حسابيا على مسافة واحدة من الطرفين، ولكن الواقع أنه وسط اعتبارى يتغير بتغير الأفراد والظروف التى تكتنفهم ، والعقل وحده هو الذى يعين هذا الوسط مع مراعاة ظروفه ، فما يعتبر كرما عند فقير قد يعد بخلا من ثرى، بل حتى مع إغفال الفرد وظروفه يبدو أن الفلسفة تكون فى العادة أقرب إلى طرف منها إلى طرف آخر، بل إن من الأفعال والانفعالات ماليس له وسط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كالسرقة والقتل والحسد ونحوه مما يعتبر رذيلة، رغم أى اعتبار وهذا مالم يفطن إليه بعض النقاد(٥٠).

وفى الحقيقة أن أرسطو كان واعيا بصعوبة تطبيق الوسط الأخلاقى على الفضيلة ولهذا إذا رجعنا إلى كتاباته ووقفنا معه وجها لوجه نجده يقول عندما يتحدث عن الشجاعة (مثلا) وسط بين الخوف والجرأة إنا نخاف الأشياء التى من شأنها أن تخاف. وهذه الأشياء بعبارة عامة تماما هى الشرور . من أجل ذلك يحد الخوف بأنه تصور الشر. نحن نخاف حينئذ الشرور من كل نوع : العار، والفقر والمرض، القلق، والموت. غير أن الرجل الشجاع لاتظهر عليه الشجاعة ضد جميع الشرور بلا استثناء. بل على ضد ذلك من الشرور أن يخاف ويكون من المخجل أن لا يخاف أبدا. مثل ذلك العار فالرجل الذى يخاف العار هو رجل حقيق بالاحترام وإنه ذو شعور بالشرف. أما الذى لا يخافه فهو على الضد وقح شقى(٥١).

وعلى هذا ينبهنا أرسطو إلى صعوبة ذلك ، فيقول : يجب علينا أن نفهم أيضا لماذا يجد الإنسان مشقة فى أن يكون فاضلا . فإن إدراك الوسط فى كل شئ أمر صعب جدا ، كما أن استكشاف مركز الدائرة لا يتيسر لجميع الناس، وأنه يلزم لإيجاده بالضبط أن يعرف المرء حل هذه النظرية.

إن أول ما يعنى به من يريد أن يصيب ذلك الوسط القيم أن يبتعد عن الرذيلة التى هى أشد ما يكون تضادا وإياه(٥٣).

ويمكننا القول بصعوبة الوصول إلى كنة الوسط الأخلاقى إذ لو فرضنا مانحتاجه من الخبز وكان أمامنا ١٠ كيلو جرامات : فقد يكون ثلاثة كيلو جرامات كافية لحاجتنا، وقد تكون ٥ ، وقد تكون ٧ . وهكذا يكون الوسط هنا مرة ٣، وأخرى ٥، وثالثة ٧. والأمر يتوقف على حاجتنا نحن الذاتية . وهكذا الأمر بالنسبة إلى الفعل الأخلاقى إنه يتعلق بنا.. أى يتوقف على اعتبارات ذاتية(٥٤).

وبهذا تجرد المعيار من طابعه الحسابى الدقيق ، وأصبح متوقفا على الأقل إلى حد كبير على اعتبارات ذاتية تتعلق بنا نحن الفاعلين . ويمضى أرسطو إلى أبعد من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك فيقرر صراحة أن الوسط العادل هو أن يفعل المرء ما يجب عليه وفى الوقت الذى يجب عليه فيه أن يفعل وفى الأحوال التى يجب فيها تجاه الأشخاص الذين نحوهم يجب ذلك ، ومن أجل الغاية التى من أجلها يجب ذلك[٥٥].

وتجدر الإشارة إلىأن باحثا آخر يذهب إلى أن النظر العقلى الخالص، كيف يمكن أن يقال عنه أنه وسط بين رذيلتين، وهل يمكن أن نقول عنه وسط بين التفريط فى الفكر، والإفراط فيه[٥٦].

وربما كان أرسطو مصيبا أيضا عندما رأى أن لتطبيق فكرة الوسط حدودا بالنسبة إلى الانفعالات والأفعال التى هى شر فى ذاتها، فبالنسبة إلى هذه الأمور لا تطبق قاعدة الوسط ، لأنها شر كلها[٥٧].

ويؤكد أرسطو على أن الفضيلة لاتكون قط إلا حين يجتمع عقل وشهوة ومن أجل هذا جام بتخطئة الزهدة الذين ينزعون إلى استئصال الشهوة من طبائع البشر ، فالإنسان عنده ليس عقلا خالصا ولا حسا محضا ولكنه مركب منهما معا، والشهوات تمثل فى الإنسان جانبه العضوى فالعمل على إبادتها إضرار بالطبيعة التى لا تستقيم بغيرها مجتمعين، إن الأهواء والشهوات هى – بلغة أرسطو– هيولى الطبيعة والعقل صورتها، والصورة لاتقوم بغير هيولى إلا فى الطبيعة الإلهية والفضيلة لاتكون بالاسترسال مع الشهوة والانقياد لسلطانها، فإن هذا ما يفعله الحيوان، ولا فى العمل على استئصالها وإماتتها على نحو ما ذهب الكلبية من قبل ، وإنما تكون فى إخضاعها لحكم العقل، فالفضيلة تعنى الاعتدال Modertion ومن أجل هذا قامت عنده نظرية الأوساط التى جعلت الفضيلة وسطا بين الإفراط والتفريط[٥٨].

وفى النهاية يذهب أرسطو إلى أن الوسط العادل هو الواجب لكن ما يجب علينا أن نفعله هو ما تتطلبه القاعدة الأخلاقية، وإذن فان الوسط العادل للفضيلة عنده، انطباق الفعل مع القاعدة الأخلاقية[٥٩].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالوسط المطلق غير موجود بل هو وسط متغير نسبى مختلف بين الأفراد بتغير الأفراد والظروف التى تكتنفهم والعقل وحده هو الذى يعين هذا الوسط مع مراعاة ظروف الفرد(٦٠).

وفى ظننا أن أرسطو لم يحالفه التوفيق فى الوسط الذهبى، وكان متأرجحا تارة ومترددا تارة أخرى ، وأنى للعقل الإنسانى أن يحدد الفضيلة، وما حدود هذا العقل، وهل العقل ثابت بين الناس جميعا أم مختلف النسب ، يبدو أن مثل هذه الاشكاليات والصعوبات هى التى واجهت أرسطو ولم يستطع حلها.

فى الحقيقة أن مسكويه تأثر بأرسطو فى كثير مما ذهب إليه بصدد الوسط الأخلاقى ،وهو يوضح ذلك بقوله : إن الأرض لما كانت فى غاية البعد من المحيط وإذا كان النشئ على غاية البعد من شىء آخر فهو من هذه الجهة على القطر. فعلى هذا الوجه ينبغى أن يفهم معنى الوسط من الفضيلة إذا كانت بين رذائل بعدها منها أقصى البعد ولهذا إذا انحرفت الفضيلة عن موضعها الخاص بها أدنى انحراف قربت من رذيلة أخرى، ولم تسلم من العيب بحسب قربها من تلك الرذيلة التى تميل إليها(٦١).

ولهذا – كما يعتقد مسكويه – صعب جدا وجود هذا الوسط ثم التمسك به بعد وجوده أصعب لذلك قال الحكماء إصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطأها أعسر وأصعب(٦٢) وواضح هنا أنه نفس الموقف الأرسطى.

ويشير مسكويه إلى إيضاح موقفه من الوسط بشكل أكثر تفصيلا، فيعتقد أن الأطراف التى تسمى رذائل من الأفعال والأحوال والزمان وسائر الجهات كثيرة جدا. ولذلك كانت دواعى الشر أكثر من دواعى الخير ويجب أن تطلب أوساط تلك الأطراف بحسب كل فرد فرد. فأما ما يجب على المؤلف فهو أن يذكر جمل هذه الأوساط وقوانينها بحسب ما يليق بالصناعة لاعلى ما يجب على كل شخص فإن هذا غير ممكن فان النجار والصائغ وجميع أرباب الصناعات إنما يحصل فى نفوسهم قوانين وأصول فيعرف النجار صورة الباب والسرير والصائغ صورة الخاتم والتاج على الإطلاق(٦٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورغم تأثره الواضح باليونان ، فى تقسيمه للنفس كما هى عند أفلاطون، وفى فكرة الوسط كما هى عند أرسطو، إلا أننا فى النهاية وجدناه يلجأ إلى الشريعة كطريق وحيد للإنسان لتحصل الفضائل، وسيطرته على قواة البهيمية والسبعية وما تتطلبه تلك القوى من لذات حسية تعوق الإنسان عن تحصيل سعادته وخيرة وترتد به بدلا من مشاركته للملائكة إلى الانحطاط إلى مرتبة البهائم . وأن التضرع إلى الله هو ا لوسيلة لخير الانسان وسعادته وانتصاره على ضعفه وميله إلى الاطراف أى إلى الرذائل فالله هو العاصم للإنسان من الرذائل(٦٤).

ونود أن نلفت النظر ، إلى أن مسكويه يشايع أرسطو أيضا فى أن الوسط الذى يقصده، ليس الوسط الذى نجده فى الحساب(٦٥).

ويضرب مسكويه الأمثلة التطبيقية على فكرة الوسط فالحكمة وسط بين السفه والبله، والعفة، وسط بين رذيلتين وهما الشره وخمود الشهوة(٦٦).

وهكذا يمضى مسكويه قدما نحو تفصيل الفضائل الأصلية الحكمة والعفة والشجاعة والعدل منتهيا بالفضائل الفرعية لكل فضيلة أصلية(٦٧).

والواقع أن مسكويه لم يخرج فى تحليله لفكرة الوسط الأخلاقى عما ذهب إليه أرسطو، رغم أنه يركن إلى صوت الشريعة أحيانا، لتبيئة النظرية فى الحضارة الإسلامية فهو القائل : والشريعة هى التى تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ إلى السعادة الإنسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم(٦٨).

أما الغزالى الذى صال وجال ، لتحليل فكرة الوسط الأخلاقى، وكما سيتضح من العرض كان واضحا فى وضع العيار والمرجعية لفكرة الوسط الأخلاقى فرغم تأثره الذى لا ينكر بأرسطو، إلا أنه فى نهاية المطاف كان إسلامى المعالجة والغاية ولعل هذا ماحدا بأحد الدارسين إلى القول بأن معيار الفضيلة ا لإسلامية ، ليس الوسط ، وإنما معيارها الوحيد هو التناسق الأخلاقى ، وهى وجهة نظر جديرة بالاعتبار(٦٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يذهب الغزالى – مثل سابقيه أرسطو ومسكويه – إلى أن الفضيلة وسط بين طرفين واعتدال[٧٠] ويحدد الغزالى معيار الاعتدال وحده، ويؤكد على أن معيار الفضيلة فى رأيه العقل والشرع معا، فباحتكام الإنسان إليهما يعلم حد الاعتدال المحمود[٧١].

وبهذا يختلف الغزالى عن الوسط العادل عند أرسطو الذى أحال تحديد الوسط العادل إلى العقل ، وإلى خبرة الرجل الحكيم[٧٢].

ويعزو المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز نظرية الوسط الأخلاقى عند الغزالى إلى المصدر الإسلامى فيقول : لعل من المفيد أن نسجل تقاربا بين النظريتين، ولكنا نرى على وجه التحديد أن مسألة معرفة ما إذا كان يوجد أولا يوجد بينهما بنوة تاريخية. فالدنيا كلها تعرف أن القرآن (الذى استمد منه المسلمون أصول نظريتهم) لاحق لنظرية أرسطو، ولكن الدنيا كلها تعرف من ناحية أخرى، أن من الخطأ البين تاريخيا القول بفرض حدوث استعارة، فإن الصلة بين الفكر الإسلامى والفلسفة الهلينية لم تبدأ فى الواقع إلا بعد قرنين من ظهور الإسلام[٧٣].

ومع تقديرنا وإجلالنا لهذه الوجهة من النظر، إلا أننا نعتقد أن المسلمين لم يعرفوا فكرة الوسط كنظرية أخلاقية قبل اختلاطهم بفلاسفة اليونان، وفى هذا الصدد يذهب المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى: وقد عرف العرب للتوسط فضيلة، ووصوا به ، وأثنوا عليه، مهتدين إلى ذلك بتجاربهم، وبما جاء فى القرآن والحديث، وبما عرفوه من حكم الفرس والهند. ففى القرآن الكريم: " والذين إذا انفقوا لم يقتروا ولم يفتروا وكان بين ذلك قواما " وفى الحديث أن الرسول الحكيم قال :" إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا " وكان يقال :" دين الله بين المقصر والمغالى " وليس معنى هذا أنهم عرفوا التوسط نظرية من نظريات علم الأخلاق وبنوا عليه كما فعل أرسطو، مذهبهم فى الفضيلة، بل معناه أنهم أدركوا سوء مغبة التقصير والغلو، وفضل التوسط والقصد، فقنعوا بما عرفوا ، وجعلوا التوسط خيرا يتواصون به دون تعمق فى البحث أو التفلسف[٧٤].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويرى أستاذنا الدكتور العراقي أنه : إذا كان الغزالي قد تأثر بأرسطو في دعوته إلى الموقف الوسط وقوله إن الفضيلة وسط بين إفراط وتفريط، فإنه قد تأثر بالمصدر الإسلامي الذي يتمثل في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية أكثر من تأثره بأرسطو فهو مثلاً حين يبين لنا أن المطلوب هو الوسط من الأخلاق دون الطرفين، يدلل على ذلك بأن السخاء خلق محمود شرعاً، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى على السخاء فقال " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط " سورة الإسراء الآية ٢٩، وقال تعالى " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " سورة الفرقان ، الآية ٦٧.

وإذا كان السخاء هو المطلوب لأنه يعد وسطا بين طرفين غير مرغوب فيهما، هما التبذير والتقتير، فإن الشجاعة أيضا مطلوبة إذ أنها وسط بين الشره والجمود . والاعتدال في الطعام أيضا مطلوب، وليس المطلوب هو الشره أو الجوع ويقول الله تعالى " كلوا واشربوا لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين " وهذا في سائر الأخلاق ، نجد المطلوب هو الوسط بإستمرار ،وهذا الذي يمثل موقف الإعتدال لا موقف الإفراط والتفريط ، تماما كما نقول إن الماء الفاتر لا حار وبارد، بل هو وسط بين الحار والبارد(٣٥).

وعندما نتوقف على نصوص الغزالي في ثنايا مؤلفاته نجد أن فكرة الوسط تختلف في معالجتها عن أرسطو، فيرى: أن من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه، إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى تغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة. فقد الغضب مذموم ، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفيء حيث يحسن الحلم ، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:" خير الأمور أوساطها" أخرجه البيهقي في الشعب مرسلاً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله فينبغى أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه. ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغى أن يعالج نفسه لينقص من ثورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف ، فإن عجز عنه فيطلب القرب منه ، قال تعالى(ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة "(٧٦).

ويعطى الغزالى مفهوم الوسط الأخلاقى مضمونا إسلاميا، بإلقاء الضوء بصورة أكثر وضوحا فيقول : ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم أن من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا، جاز على مثل الصراط فى الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعنى الوسط ، حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه معلقا بالجانب الذى مال إليه(٧٧)، وذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز النار وإن كان مثل البرق (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا)" مريم : آية ٧١" . (ثم ننجى الذين اتقوا) أى الذى كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه. ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى فىكل يوم سبع عشرة مرة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال: قد قلت يارسول الله شيبتى هود، فلم قلت ذلك، فقال عليه السلام لقوله تعالى (فاستقم كما أمرت). فالاستقامة على سواء السبيل فى غاية الغموض ولكى ينبغى أن يجتهد الإنسان فى القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها . فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ، ولاتصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه، وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب (٧٨).

ويركز الغزالى على مفهوم الاستقامة أو الاعتدال بالمعنى الإسلامى وتطبيق فكرة الوسط على النسق الأخلاقى الخاص به فلو نظرنا إلى فضيلة الاعتدال أو العدل التى هى جماع الفضائل كلها فنرى الغزالى يقول : فإن المقصود من جلب الاعتدال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طلب الطرفين إذ الغرض من تطهير النفس عن الصفات التى تلحقها بعوارض البدن حتى لا تلتفت إليها بعد المفارقة عاشقة ومتأسفة على قوتها وممنوعة عن الاشتغال بها عن العادات اللائقة بجوهراها، ومهما أردنا أن لايكون الماء حارا ولا باردا طلبنا فيه الاعتدال ، وكان الفاتر لا حارا ولا باردا فكذلك هذه الصفات ، فإن قلت فبماذا أعلم أن الحاصل لى هو الحق الجميل وهو الوسط المعتدل بين طرفى الإفراط والتفريط. فطريقك أن تنظر فى الأفعال التى يوجبها ذلك الخلق الذى فيه مجاهدتك فإذا التذذت بفعله فاعلم أن الخلق الموجب له راسخ فى نفسك فإن كان ذلك الفعل قبيحا فاعلم أن الخلق قبيح مثل أن تلتذ بإمساك المال وجمعه فموجبة خلق البخل فعود نفسك نقيضه والأخلاق الحسنة والسيئة قد فصلها الشرع ويجمعها ما صنف فى آداب النبى عليه السلام. ونعنى بالاعتدال أنك لو كنت تلتذ بالإسراف فى تفريق المال فتعلم أن هذا أيضا مذموم وهو الذى يعبر عنه بالتبذير والمحمود هو السخاء الواقع بين التحزق والتبذير وهو أن يتيسر عليك بذلك ما يقتضى الشرع والعقل بذله عن طوع ورغبة[٧٩].

وهكذا يطبق الغزالى ، نظريته فى الوسط الأخلاقى ، على سائر فضائل النفس (كالشجاعة) مثلا فهى فضيلة للقوة الغضبية لكونها قوية، ومع قوة الحمية منقادة للعقل المتأدب بالشرع فى إقدامها وإحجامها[٨٠].

وينبغى أن نشير إلى أن الغزالى يهتم بالناحية العملية ، ولم يقتصر دوره على الأخلاق النظرية. إن الأخلاق عند الغزالى لا تقتصر على كونها مجرد دعوة نظرية إلى اتباع السلوك الفاضل ، بل إنها فى حقيقتها فعل خلقى[٨١].

وبناء على ما عرضنا آنفا ، هل يمكننا القول إن الوسط الأخلاقى عند الغزالى مبنى على أنه لا يوجد ثمة تناقض أو نزاع بين الوحى الذى هو من الله والعقل الذى هو من الله ايضا ، وإنما يكمل كل منهما الآخر، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر. فالعقل والنقل يسيران فى القرآن الكريم معا جنبا إلى جنب ، وهذا هو ما يؤخذ من قوله تعالى:" وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير" (سورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملك: ١٠) وكلاهما فى نهاية الأمر مرده إلى الله ، ولهذا فالأحرى أن لا نعتبرهما مصدرين مختلفين للإلزام الخلقى، وإنما نراهما مستويين لمصدر واحد[٨٢].

لقد عالج الغزالى الوسط الأخلاقى على ضوء فهمه للدنيا والآخرة أو على حد تعبيره (الاستقامة فى الدنيا طريق الاستقامة فى الآخرة). وبهذا يمكننا القول إن قانون الأخلاق فى الإسلام لا يعرف تلك النظرة الضيقة للأخلاق الدينية على النحو الذى يقول به الباحثون الغربيون . فالأخلاق فى الإسلام ليست أخلاقا واحدية الجانب - كما هو الشأن فى الكثير من النظريات الأخلاقية - وإنما هى أخلاق تمتاز بشمولها وكمالها الذى لايجاريه أى كمال، حيث تضم تحت جناحيها العناصر الفردية والاجتماعية والإنسانية والإلهية فى تناسق رائع لا مثيل له فى أى دين أو فى أى مذهب أخلاقى[٨٣].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعا : السعادة وعلاقتها بالوسط الأخلاقي بين مسكويه والغزالي:

انتهينا من عرضنا لمفهوم الوسط الأخلاقي ، وأن الغاية المترجاه تحقيق العدالة ، لفضائل النفس، والتي تتبعها دائما السعادة(٨٤).

وارتبطت السعادة بالخير الأقصى عند أفلاطون وأرسطو ، فيرى أرسطو أن الخير الأقصى هو السعادة. فهي الشيء والوحيد الذي يطلب لذاته يقول أرسطو:" إننا نطلب السعادة لذاتها لا لتكون وسيلة لشئ آخر في حين أننا نسعى إلى الشرف واللذة والتعقل، لامن أجل ذاتها بل من أجل شيء آخر هو السعادة"(٨٥).

وعلى هذا – يعتقد أرسطو – أن السعادة الصحيحة تقوم في مزاولة التأمل العقلي، وهي توضح في عداد الأفعال التي تطلب لذاتها(٨٦). وبناء على هذا ،لايسلم أرسطو باعتبار اللذة الحسية غاية الإنسان، فإن لكل موجود وظيفة يؤديها، وكمال الموجود وظيفة يؤديها ، وكمال الموجود مرهون بمدى تأديته وظيفته ، ووظيفة الإنسان التي تميزه من سائر الكائنات هي التعقل أو التأمل ، فهو يشارك النبات في النمو، والحيوان في الحس، وينفرد دونهما بالتأمل العقلي ، ومن ثم كانت مزاولة التأمل أكمل حالات الموجود الإنساني(٨٧).

ومجمل القول إن أرسطو بعد أن ميز بين ماهو جوهري وما هو عرضي ، قد قصر السعادة على خير النفس بإعتباره خير الإنسان بما هو إنسان وإن كان هذا لم يمنعه من التنويه بالخيرات الخارجية والجسمية كغيره من فلاسفة اليونان(٨٨).

وبعد أن يذكر مسكويه قوى النفس وفضائلها وخلودها يذهب إلى أن سعادة الإنسان هي الخير التام بحيث لا يحتاج إلى شيء وراءه وأن من بلغ به الأمر هذه الدرجة من الفضيلة يكون سعيدا في نفسه ولا يضره أي ألم جسماني ممن تعارف عليه الناس باسم المصائب أو الشقاء لأنه سعيد بالخير الذي يغمره والذي استطاع أن يتوصل إليه ولاشك أن أبا على استقى فكرة الخير من أفلاطون الذي قال بها من بين حكماء اليونان(٨٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويذهب مسكويه إلى تقسيم الناس ثلاث طوائف : قلة خيرة بفطرتها ، وكثرة شريرة بطبيعتها لا يصيرون إلى الخير أبدا، وطائفة ينتقلون من الخير إلى الشر أو من الشر إلى الخير وفقا لأساليب التربية ومخالطة الأشرار أو مصاحبة الأخيار(٩٠).

والخير أصلا عام مطلق هو عين الموجود والأعظم، وهو مقصد الأخيار، ولكن لكل إنسان خيره الخاص أو سعادته التى تختلف باختلاف قاصديها، وهى عنده تتحقق بتحصيل السعادة الروحية لا السعادة البدنية ومتى انشغل الإنسان بعالم الروح بلغ مرتبة الملائكة عن طريق العشق الإلهى وحقق السعادة القصوى(٩١).

ويرى مسكويه أن اجتماع الناس بعضهم ببعض ضرورة طبيعية ومن أجل هذا كانت المحبة بين الناس، وهى قوام الفضائل وأساس الواجبات، بل يؤكد فى كتاب الفوز الأصغر أن من ينزع إلى التزهد يجور على غيره، لأنه يطلب معاونة الناس ثم لا يعاونهم، وهذا هو الظلم والعدوان ولا يبلغ الإنسان كماله إلا بالتضامن والتعاون مع أبناء جنسه، ومن أجل هذا استهدف علم الأخلاق الوقوف على ما ينبغى أن تكون عليه أخلاق الإنسان فى المجتمع(٩٢).

وفى هذا الصدد يعارض مسكويه الرهبنة والتصوف من حيث لاتحصل الفضائل للذين تركوا مخالطة الناس وتفردوا عنهم بملازمة المغارات فى الجبال أو ببناء الصوامع فى المفاوز حيث لا تتوجه ملكات الإنسان إلى خير أو شر ، فليست حياة ا لإنسان حياة زهد وإعراض، وإنما هى حياة انسجام وتوافق بين مطالب الجسد والروح، ومن ثم فإن الحكيم لا يتجرد عن لذة الدنيا تماما ،وإنما يضيفها إلى لذة الروح(٩٣).

ومن ثم نجد هذا الموقف النقدى عند مسكويه، من هؤلاء الناس الذين ظنوا أن الزهد فى الهروب والانسحاب من ميدان الحياة بدعوى الطهارة والفضيلة ، أو على حد قوله ": إن من لم يخالط الناس ولم يساكنهم فى المدن لا تظهر فيه العفة ولا النجدة ولا السخاء والعدالة بل تصير قواه وملكاته التى ركبت فيها باطلة لأنها لا تتوجه إلى خير ولا إلى شر فاذا بطلت ولم تظهر أفعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لجمادات والموتى من الناس ولذلك يظنون ويظن بهم أنهم أعفاء وليسوا بأعفاء وأنهم عدول وليسوا بعدول وكذلك فى سائر الفضائل أعنى أنه إذا لم يظهر فيهم أضداد هذه التى هى شرور ظن بهم الناس ومساكنتهم فى المعاملات وضروب الاجتماعيات ونحن إنما نعلم ونتعلم الفضائل الإنسانية التى نساكن بها الناس ونخالطهم ونصبر على أذاهم لنصل منها وبها إلى سعادة أخرى إذا خبرنا إلى حال أخرى[٩٤] وفى هذا الصدد يبدو الأثر الإسلامى واضحا عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم ." المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذى لا يخالط الناس" .

ويربط مسكويه بين السعادة ومعرفة الشريعة أو أن أنسب المعارف للطفل العلم بالشريعة لأنها لازمة لقبول الحكمة وطلب الفضيلة والبلوغ إلى السعادة[٩٥].

وبقدر ما نلاحظ النزعة الاجتماعية فى ربط الفضيلة بالسعادة ففى كتابه الفوز الأصغر يشير إلى هذه الحقائق ، فيرى: إن تحصيل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة، وللحكمة جزءان : نظرى وعملى، فبالنظرى يمكن تحصيل الآراء الصحيحة، وبالعملى يمكن تحصيل الهيئة الفاصلة التى تصدر عنها الأفعال الجميلة. وبهذين الأمرين بعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها وهم أطباء النفوس ، يعالجونها من انتقام الجهالة بالأدب الحق لما يأخذونهم به من الآداب الصحيحة والأعمال النافعة ،ويطالبونهم بلا استسلام لهم بعد إقامة الحجة عليهم بالمعجزات ، فمن تبعهم ولزم محجتهم وقف على الصراط المستقيم، ومن خالفهم تردى فى سواء الجحيم[٩٦].

وعلى هذا يمكننا القول إن مسكويه لم يكن مقلدا أو متابعا لما قاله اليونان كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين، وكما أشرنا إلى هذا فى بداية الدراسة بل نزعم من وجهة نظرنا أنه كان له رؤيته الخاصة فى معالجته ، وهذا ما ذهب إليه المرحوم الدكتور توفيق الطويل: أن مفكرى الإسلام على اتفاق فى إقامة المبادئ الأخلاقية على اساس من الإيمان بالله على نحو ماورد فى القرآن الكريم، ليس لله مكان فى الأخلاق عند أرسطو- أكبر فلاسفة الأخلاق قديما - لأن الله عنده هو المفهوم الأعلى للوجود

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو هو جنس فوق الأجناس وعلى عكسه كان "كانط" إمام الفلسفة الحديثة أقام مبدأ الواجب على ثلاث مسلمات هى الاعتقاد فى حرية الإرادة وخلود النفس ووجود الله وهى المسلمات التى كان قد أنكر إمكان التدليل عليها عقليا ! أما مفكرو العرب فى العصور الوسطى فقد حرصوا على الاعتقاد فى أن الأخلاق لا تستقيم بغير الإيمان بالله وصفاته التى صدرت عنها المبادئ والاعتقاد فى خلود الروح وعقبى الدار . بل ذهبوا إلى أن كمال الأخلاق إنما يكون بالتخلق بالله، لأن فى الذات الإلهية تجتمع كل الكمالات القصوى ، والله تعالى يجمع بين الرحمة والمحبة من ناحية والقوة والجبروت من ناحية أخرى فى تعادل وتوازن(٩٩).

ويشير مسكويه إلى أن فلسفته الأخلاقية التى ينشدها تتجاوز اللذة الحسية، لأن مثل هذه النظرة لابد وأن تنتهى إلى القضاء على كل إحساس بالقيم لدى الفرد(٩٨) فيعتقد أن من رضى لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته وأقصى سعادته فقد رضى بأخس العبودية لأخس الموالى. لأنه يصير نفسه الكريمة التى يتناسب بها الملائكة عبدا للنفس الدنيئة التى يناسب بها الخنازير والخنافس والديدان وخسائس الحيوانات التى تشاركه فى هذا الحال(٩٩).

ورغم عقلانية مسكويه فى نظرته الخلقية إلا أننا نستطيع أن نستشف الروح الصوفية عندما يؤكد على: أن السعيد التام هو الذى توفر حظه من الحكمة فهو مقيم بروحانيته بين الملأ الأعلى يستمد منه لطائف الحكمة ويستنير بالنور الإلهى ويستزيد من فضائله بحسب عنايته بها وقلة عوائقه عنها(١٠٠).

ورغم ذلك لم ينكر حاجات البدن فيرى أن من وصل إلى هذه المرتبة: لايبالى بفراق الأحباب من أهل الدنيا ولا يتحسر على ما يفوته من التنعم فيها، وهو الذى يرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا التى عددناها فى السعادات التى فى بدنه والخارجة عنه محلها محلا عليه إلا فى ضرورات يحتاج إليها لبدنه الذى هو مربوط به ولا يستطيع الانحلال عنه إلا عند مشيئة خالقه وهو الذى يشتاق إلى صحبة أشكاله وملاقاة من يناسبه من الأرواح الطيبة والملائكة المقربين(١٠١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا تنتهي نظرية الوسط الأخلاقي في أسمى غايتها عند مسكويه بالتزكي النفسي ، عن طريق الحكمة للصعود إلى الملائكة المقربين ومن هنا التقت النظرة الفلسفية بالبعد الميتافيزيقي الإلهي في أوج قمته عند فيلسوفنا.

هذا المطرح وجعلنا ننظر إلى موقف الغزالي من السعادة في ضوء فهمه للوسط الأخلاقي على ضوء ميزان العقل والشرع.

فالسعادة الحقيقية في نظره هي السعادة الأخروية التي هي بقاء لافناء وسرور لاغم فيه وعلم لاجهل معه وغنى لافقر معه بخالطه وان يتوصل إليه إلا بالله ولا يكمل إلا بالفضائل النفسية في أربعة أمور :

١- العقل وكماله العلم .

٢- العفة وكمالها الورع .

٣- الشجاعة وكمالها المجاهدة .

٤- العدالة وكمالها الإنصاف .

ويؤكد الغزالي على أن هذه الفضائل تتكامل بالفضائل البدنية المنحصرة في أربعة أمور: في الصحة والقوة والجمال وطول العمر ويتمم هذه الفضائل المال والأهل والعز وكرم العشيرة ثم ينتهي إلى النوع الأخير من هذه الفضائل وهي الفضائل التوفيقية وهي أربعة هداية الله ورشده وتسديده وتأييده[١٠٢] فهذه السعادات بعد السعادات الأخروية ستة عشر ضربا[١٠٣].

ويشير الغزالي إلى أن البعض من هذه الفضائل يحتاج إلى البعض لما لحاجة ضرورية كالفضائل النفسية التي لامطمع في الوصول إلى نعيم الآخرة إلا بها[١٠٤] وصحة البدن الذي لا وصول إلى تحصيل الفضائل النفسية إلا به [١٠٥] ولما حاجة نافعة كحاجة هذه الفضائل الخارجة فإن المال والأهل والعشيرة إن عدمت تطرق الخلل إلى أسباب هذه الفضائل، فإن قلت فما وجه الحاجة إلى الفضائل الخارجية من المال والأهل والعز وكرم العشيرة[١٠٦].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا يؤكد الغزالى على أن السعادة الحقيقة بتكامل فضائل النفس الداخلية والخارجية ونلحظ أن الغزالى يؤكد من جهة أخرى على فكرة التكامل والتوازن فى فضائل النفس، وهى نظرة تتسق مع فكرة الوسط الأخلاقى التى أعطاها الغزالى مضمونا إسلاميا، كما يؤكد الغزالى على أن الفضائل النفسية لايتم الوصول إليها إلا بصحة البدن ، فضلاً عن المؤثر الأرسطى فى عدم وأد اللذة الحسية بل تهذيبها ، نرى النظرة الإسلامية – غالبة على الغزالى التى تحتفى بالتوازن بين مطالب الروح والجسد بل نجد الغزالى يضيف إلى هذه الفضائل، فضائل أخرى ليس لها نظير فى الحضارة اليونانية وهى هداية الله ورشده وتسديده وتأييده(١٠٧).

وهى رؤية تتسق مع القيم الايمانية العليا، كما أن فكرة الوسط الأخلاقى التى تنتج عنها فكرة السعادة ، أضحت ذات أبعاد متنوعة وشاملة جمعت بين الدينوى والأخروى، وإن كانت تركز على الأخروى بصورة أوضح وبين الفرد والمجموع، وبين الجزء والكل، وهى نظرة شمولية متوازنة له لم نشتم رائحتها فى نسق أرسطو أو أفلاطون.

ولهذا يستشهد الغزالى بقول النبى صلى الله عليه وسلم عن جوهر السعادة وحقيقتها . قال : طول العمر فى طاعة وكذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة للآخرة . وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أكثر والنفس أزكى وأظهر وكمالها أتم وابتهاج صاحبها بجمالها عن التجرد عن علائق البدن أشد وأوفر وذلك إذا تنبه عن نومه الذى أغفله عن إدراك جمال نفسه من جال يبتهج به أو خزى وخيال يفتضح به وذلك التنبه باطراح الشواغل فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فهذه مجامع الفضائل وغاياتها أن تصور منه الفضائل أبدا بغير فكر وروية (١٠٨).

ومن جانب آخر يؤكد الغزالى على أن السعادة الحقيقية تكون بالقرب من الله الذى يتحقق بتهذيب الخلق وترويض النفس وينكشف النور الجلى ويظهر معدن الإنسان الحقيقى وجوهره الروحانى(١٠٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى الحقيقة نجد الغزالى يشير إلى اللذة الحسية والروحية فـــى الآخـــرة ولا يناقض - فى رأيه - بين هذا وذاك يقول :" اللذات المحسوسة الموجودة فى الجنان من أكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لإمكانها(١١٠).

فهو يرى أن الآخرة مختلفة المراتب واللذات تبعا لاستعداد الخلق فمن النـــاس من يرغب فى الشهوات الحسية من أكل وشرب وتمتع بالنكاح من حور أهل الجنة، فلا مانع من وجود هذه الشهوات فى الآخرة ، وهذه الطائفة أغلبها من العوام، مما لا يتسع مداركهم إلى لذة وسعادة أرقى من هذه كما أن اللذة الخيالية فى الدنيا موجودة ، ولـــها مثيل فى الآخرة فى لذة أكبر وبصورة أجمل يقدر على إيجادها الله سبحانه وتعالى. أما الخواص من الناس أو العارفون فهم يرغبون فى لذات أسمى من هذه اللذات الحســـية والخيالية ألا وهى اللذات الروحية التى هى مقاربة الحضرة الإلهية وتـــأمل المبـــادئ العقلية(١١١).

وينتهى الغزالى فى عرضه بأن السعادة الحقيقية هـــى الأخرويـــة وماعداهـــا سميت سعادة إما مجازا أو غلطا كالسعادة الدنيوية التى لاتعين على الآخرة(١١١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاتمة ونتائج الدراسة

(١) أثبتت هذه الدراسة أصالة كل من مسكويه والغزالى فى إقامة نسق أخلاقى داخل البيئة الإسلامية، ومن ثم ذهبا يؤكدان على حقيقة النفس كحقيقة جوهرية تختلف كل الاختلاف عن البدن ، وبذلك لكى يمهدا للأخلاق عندهما ، لأنه لا أخلاق دون معرفة أنفسنا ولعل هذا ما دفع مسكويه إلى أن يلبس أرسطو رداء إسلاميا من حيث ذهاب مسكويه إلى أن أرسطو من القائلين بخلود النفس، فى حين أن منطق مذهب أرسطو فى اتحاد الصورة بالمادة، وأن تعريفه للنفس صورة البدن يفضى حتما إلى القول بفناء النفس بفناء البدن ، بعكس أفلاطون الذى يؤكد على جوهرية النفس وخلودها ، ولعل هذا من الانتقادات التى صوبناها لمسكويه فى عدم فهمه لأرسطو الفهم الصحيح.

(٢) ربط مسكويه بين قوى النفس وفضائلها متابعا فى ذلك أفلاطون من حيث الفضائل الأربع وهى الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة ولقد لاحظنا أن الغزالى كان متابعا لهما فى هذا الصدد، فرغم اختلاف الغزالى عن مسكويه فى النهج والغاية – إلى حد كبير – إلا أن علاقة التأثير والتأثر واضحة بينهما ، وتلك سنة فكرية فأنى لفكر ينشأ من العدم.

(٣) طرحت هذه الدراسة لاشكالية محددة، وهى الوسط الأخلاقى بين مسكويه والغزالى ، ولقد بدأ لى أن هذه الفكرة راقت لكل منهما ، لاتفاقها مع المنهج الإسلامى فى إقامة المذهب الوسط، وإن لاحظنا أن الغزالى يؤكد على فكرة الوسط ولاشك هو متأثر بأرسطو فى أحد جوانبه، وإن كان الغزالى يجعل مرجعيته النظرة الإسلامية فى تأسيسه للآراء والأفكار بخلاف مسكويه الذى يطرح نفسه على الفلسفة محاولا أن يعضد رأيه بالنظرة الشرعية فالبون إذن شاسع بينهما.

(٤) ينشد الغزالى الفلسفة الخلقية الدينية – بخلاف مسكويه محكوم بالرؤية الفلسفية – وليس أدل على هذا، أن الغزالى يرى أن كمال الاعتدال فى فضائل النفس قد تمثل فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم والناس من بعده متفاوتون ومن ثم فإن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغزالى يؤكد على فكرة العدل والاعتدال بالمفهوم الإسلامى والتى لا تصطدم بـأى حال – فى رأيه – بالوسط الأخلاقى الفلسفى.

(٥) ناقشت الدراسة ، حقيقة الوسط الأخلاقى كما هو عند أرسطو وانتهت إلى أنه كان اعتباريا لا حقيقيا ووجه الباحث بعض الانتقادات لموقف أرسطو فى هذا الصـــدد. وتوقفت الدراسة عند معيار الفضيلة عند كل من مسكويه والغزالى ، بينما يقـــترب مسكويه من أرسطو من حيث أن العقل هو الحكم والمعيار، إذ نجد الغزالى يرى أن معيار الفضيلة العقل والشرع معا وباحتكام الإنسان إليهما يعلم حد الاعتدال المحمود معا كما أن الغزالى يدعم وجهة نظره – دائما – بالآيـــات القرآنيـــة والأحـــاديث الشريفة، بخلاف مسكويه الذى يذكر الآيات القرآنية والأحاديث – على اســـتحياء– لأنه يجعل مرجعيته كما قلنا نظرة الفيلسوف بخلاف الغزالى الذى يجعل مرجعيتـــه رجل الدين ولهذا يربط الغزالى بين مفهوم الوسط الأخلاقى وفكرة الاعتدال بالمعنى الإسلامى أو أن الوسط أدق من الشعر وأحد من السيف ومن استقام على الصـــراط فى الدنيا استقام على الصراط فى الآخرة ويتفق مسكويه مع الغزالى فـــى الجـــزاء الأخروى للنفس الفاضلة ، وإن كان الغزالى أكثر قربا من النظر الشـــرعى مـــن سلفه.

(٦) يؤكد مسكويه والغزالى على الربط بين النظر والعمـــل فـــى نســـقهما الخلقـــى والأخلاق فى رأيهما ليست مجرد دعوة نظرية إلى اتباع السلوك الفاضل بل إنـــها فى حقيقتها فعل خلقى.

(٧) يؤكد مسكويه والغزالى على أن السعادة هى نتيجة طبيعية للفضيلة ومن ثم فـــإن السعادة الحقيقية عند مسكويه هى مجاوزة المحسوس إلى العـــالم الملائكـــى أو أن الحكيم هو الذى توفر خطة من الحكمة فهو مقيم بروحانيته بين الملأ الأعلى يستمد منه لطائف الحكمة ورغم عقلانية مسكويه إلا أننا وجدنا الروح الصوفيـــة تتـــوج مذهبه الخلقى وتخفف من غلوائه ومتابعته كثيرا لأرسطو ويتفق الغزالى مع ســـلفه فى أن السعادة الحقيقية هى مجاوزة المحسوس وبالقرب من الله الذى يتحقق بتهذيب الخلق وترويض النفس وينكشف النور الجلى ويظـــهر معـــدن الإنســـان الحقيقـــى وجوهره الروحانى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هوامش

١- د. توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية، ص ٥٥.

٢- أخرجه البيهقى فى الشعب مرسلا (تخريج أحاديث الإحياء للعراقى) ، وفى كتاب كشف الخفاء قال: رواه ابن السمعانى فى زيل تاريخ بغداد . أخرجه الديلمى عن أنس.

٣-د. أحمد محمود صبحى : الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى ، ص ٣١٣.

٤-د. ناجى التكريتى : الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلامى ، ص ٣٤٤، د.توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، ص ١٤١، دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة ، ص ٢٤٣.

٥- د. محمد يوسف موسى : فلسفة الأخلاق فى الإسلام ، ص ٢١.

٦- مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٢٥ ، د. محمد يوسف موسى : فلسفة الأخلاق فى الإسلام ، ص ٨١.

٧- د. محمد يوسف موسى : فلسفة الاخلاق فى الإسلام ، ص ٨١.

٨-مسكويه : المرجع السابق ، ص ٢٦.

٩- مسكويه : نفس المرجع ، ص ٢٧.

١٠- مسكويه : نفس المرجع ، نفس الصفحة.

١١-مسكويه : نفس المرجع ، ص ٢٨.

١٢-د .محمد يوسف موسى : فلسفة الأخلاق فى الإسلام ، ص ٨١.

١٣- الغزالى : إحياء علوم الدين ، (ج٣) ، ص ٥٣ ، د. محمد يوسف موسى : فلسفة الأخلاق فى الإسلام ، ص ١٤٩.

١٤-الغزالى : نفس المرجع ، نفس الصفحة.

١٥-الغزالى : نفس المرجع ، ص ٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٦- مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٢، د. سعيد مراد : نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام تصدير د. عاطف العراقى ، ص ٨٨.

١٧-مسكويه : الفوز الأصغر ، تحقيق د. عبد الفتاح أحمد فؤاد، ص ٢٢٣ ، دى بور، تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ص ٢٠٤.

١٨-الهوامل والشوامل ، ص ٢٧ ، نقلا عن د. عبد الفتاح أحمد فؤاد فى تحقيقه الفوز الأصغر ، ص ٦٩.

١٩-انظر : د. ناجى التكريتى : الفلسفة الأخلاقية عند مفكرى الإسلام ، ص ٢٤٥.

٢٠-انظر: تهذيب الأخلاق لمسكويه ، ص ٨١، حيث يقول: رأى أرسطوطاليس فى بقاء النفس مع أن منطق مذهبه النفس صورة البدن يفض إلى القول بفناء النفس بفناء البدن، انظر أيضا د. محمد لطفى جمعه فى كتابه تاريخ فلاسفة الإسلام ، عالم الكتب يقول : (ثم انتقل إلى رأى أرسطو فى بقاء النفس والمعاد استدلالا من قوله فى كتاب الأخلاق . على أن الكلام الذى أورده ابن مسكويه نقلا عن أرسطوطاليس فى هذا الباب لايؤدى إلى القول بالمعاد . (ص ٣١٤).

٢١-الغزالى : معراج السالكين ، ص ١١٨.

٢٢- الغزالى: كيمياء السعادة ، ص ١٠٨.

٢٣-د. محمود حمدى زقزوق : مقدمة فى علم الأخلاق ، ص

٢٤-مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ١٤.

٢٥-مسكويه : نفس المرجع ، ص ١٦.

٢٦-د. إمام عبد الفتاح إمام : فلسفة الأخلاق ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ص ٩٢

٢٧- مسكويه : المرجع السابق ، ص ٤٠.

٢٨-د. محمود حمدى زقزوق : مقدمة فى علم الأخلاق ، ص ٩٨.

٢٩-د. محمود حمدى زقزوق : نفس المرجع ، ص ١٠٠.

٣٠-د. عاطف العراقى : الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل ، ص ٨٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣١-مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ١٦-١٩.

٣٢-الغزالى : ميزان العمل ، ص ٧٩ نقلا عن د. محمد يوسف موسى ، ص ١٥٢.

٣٣-د. محمود حمدى زقزوق ، المرجع السابق ، ص ٥٥.

٣٤-الغزالى : ميزان العمل ، ص ٥٤.

٣٥- الغزالى : نفس المرجع ، نفس الصفحة والحديث نصه (إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا (رواه الترمذى والحاكم) وقال الترمذى حديث حسن .

٣٦-الغزالى : إحياء علوم الدين ، ج٣ ، ص ٥٤.

٣٧- الغزالى : نفس المرجع ، ص ٥٥.

٣٨-انظر ميزان العمل للغزالى: ص ٨٣ وما بعدها.

° الوسط : وسط الشئ مابين طرفيه (المعجم الوسيط) ص ١٠٧٣.

٣٩-د. إبراهيم صقر: الفلسفة الخلقية عند فلاسفة الإسلام ، ص ١٠.

٤٠- ابن سينا : الشفاء (الإلهيات) م ٧، ف ٣ ، ص ٣٦٠.

٤١- د. إبراهيم صقر: المرجع السابق ، ص ١٣ .

٤٢- د. محمد يوسف موسى: فلسفة الأخلاق فى الإسلام ، ص ١٠٨.

٤٣- د. محمود حمدى زقزوق : المرجع السابق ، ص ١٤٦.

٤٤-د. عبد الرحمن بدوى : الأخلاق النظرية ، ص ١٤٣، ١٤٨.

٤٥-أرسطو : الأخلاق إلى نيقوماخوس ، ص ٢٤٦.

٤٦-د. محمد يوسف موسى : فلسفة الأخلاق فى الإسلام ، ص ٢١٥.

٤٧-د. محمد كمال جعفر : مدخل إلى الأخلاق ، ص ٥٨، د. سعد عبد العزيز حباتر: الفلسفة الخلقية مكتبة سعيد رأفت ص ٢٠.

٤٨-د. محمد كمال جعفر : مدخل إلى الأخلاق ، ص ٥٩.

٤٩- د. محمد كمال جعفر: المرجع السابق ، ص ٥٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥٠- د. توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، ص ٧١، د. سعد عبدالعزيز حباتر : الفلسفة الخلقية مكتبة سعيد رأفت ، ص ٢١، د. بدوى: الأخلاق النظرية ، ص ١٥.

٥١-أرسطو: الأخلاق إلى نيقوماخوس ، ص ٢٩٧.

٥٢- أرسطو : المرجع السابق ، ص ٢٦١.

٥٣-أرسطو : نفس المرجع ، ص ٢ ٣٠.

٥٤-د. عبد الرحمن بدوى : الأخلاق النظرية ، ص ١٤٨.

٥٥- د. عبد الرحمن بدوى : المرجع السابق ، نفس الصفحة، د. محمود حمدى زقزوق: مقدمة فى علم الأخلاق، ص ١٤٧.

٥٦- د. إمام عبد الفتاح إمام : فلسفة الأخلاق ، ص١٢١.

٥٧- د. عبد الرحمن بدوى : الأخلاق النظرية ، ص ١٤٩.

٥٨- د. توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، ص ٧١.

٥٩- د. عبد الرحمن بدوى : المرجع السابق ، ص ١٤٨.

٦٠-د. إبراهيم صقر: الفلسفة الخلقية عند فلاسفة الإسلام، ص ١٣.

٦١-مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٢١.

٦٢-مسكويه : المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

٦٣-مسكويه : نفس المرجع ، ص ٢٢.

٦٤-د. ابراهيم صقر: المرجع السابق ، ص ١٥.

٦٥-د. محمد يوسف موسى: المرجع السابق ، ص ٨٧.

٦٦-مسكويه : المرجع السابق ، ص ٢٢-٢٣.

٦٧-مسكويه : نفس المرجع ، ص ٢٩.

٦٨- مسكويه : نفس المرجع، نفس الصفحة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦٩-د. أحمد ابراهيم عبد الرحمن : الفضائل الأخلاقية فى الإسلام ، الرياض ، ١٩٨٢، نقلا عن د. محمود حمدى زقزوق: مدخل فى علم الأخلاق ، ص ١٤٩.

٧٠-د. محمد يوسف موسى: المرجع السابق ، ص ١٥٦.

٧١-د. محمد يوسف موسى: نفس المرجع ، نفس الصفحة.

٧٢-د. محمود حمدى زقزوق: مدخل إلى علم الأخلاق ، ص ١٤٩.

٧٣-د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى الإسلام ، ص ٦٧٠.

٧٤-د. محمد يوسف موسى: المرجع السابق ، ص ٢٨.

٧٥-د. عاطف العراقى : الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل ، ص ١٠٠.

٧٦- الغزالى : إحياء علوم الدين (ج٣) ص ١٦٩.

٧٧- الغزالى : نفس المرجع ، ص ٦٣.

٧٨-الغزالى : نفس المرجع ، ص ٦٤.

٧٩-الغزالى : ميزان العمل ، ص ٧٥.

٨٠-الغزالى : نفس المرجع ، ص ٧٨.

٨١- د. عاطف العراقى : المرجع السابق ، ص ٩٣.

٨٢-د. محمد عبد الله دراز : المرجع السابق ، ص ٣٤، أنظر أيضا د. محمود حمدى زقزوق :دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى ، مكتبة وهبة طبعة أولى ، ١٩٨٤، ص ١٨، ومابعدها.

٨٣-د. محمود حمدى زقزوق : مقدمة فى علم الأخلاق ، ص ٧٤، انظر أيضا صلاح الدين السلجوقى:أثر الإحياء الغزالى فى الأخلاق المنشور بمهرجان الغزالى من الذكرى المئوية التاسعة لميلاده ، ص ٨١.

٨٤-د. ناجى التكريتى : الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام ، ص ٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨٥- د. إمام عبدالفتاح إمام : فلسفة الأخلاق ، دار الثقافة للنشـــر والتوزيـــع ، ص ١٠٧.

٨٦- د. توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، ص ٦٩.

٨٧- د. توفيق الطويل : المرجع نفسه ، ص ٦٨.

٨٨- د. زكريا إبراهيم : المشكلة الخلقية ، ص ١٤٥.

٨٩- د. ناجى التكريتى : الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكـــرى الإســـلام ، ص ٣٤٦.

٩٠- د. توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، ص ١٤٠.

٩١- د. توفيق الطويل : نفس المرجع ، نفس الصفحة .

٩٢- د. توفيق الطويل : نفس المرجع ، نفس الصفحة .

٩٣- د. أحمد محمود صبحى : الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى ، ص ٣١٢.

٩٤-مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص ٢٥.

٩٥- د. أحمد محمود صبحى : الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى ، ص ٣١١.

٩٦-مسكويه : الفوز الأصغر ، ص ٢٤٤.

٩٧- د. توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية ، ص ١٣٩.

٩٨- د. محمود حمدى زقزوق : المرجع السابق ، ص ٨٤.

٩٩- مسكويه : تهذيب ا لأخلاق ،ص ٣٧.

١٠٠- مسكويه : نفس المرجع ، ص ٧١.

١٠١- مسكويه : نفس المرجع ، ص ٧٢.

١٠٢- مسكويه : نفس المرجع ، ص ٩٧.

١٠٣- الغزالى : نفس المرجع ، نفس الصفحة ، د. محمود. حمدى زقزوق مقدمة من فلسفة الأخلاق ، ص ١٠١، د. محمد يوسف موسى: فلسفة الأخلاق فى الإســـلام ، ص ١٦٣ وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٠٤-الغزالي: ميزان العمل ، ص ٩٧.

١٠٥- الغزالي : نفس المرجع ، نفس الصفحة .

١٠٦- الغزالي : نفس المرجع ، ص ٩٨.

١٠٧- الغزالي: انظر الغزالي في كتابه ميزان العمل ص ١٠١-١٠٢ يقول: " ولما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب الفضائل إلا بها فهي مبدأ الخيرات كما قال تعالى (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء) وقال عليه السلام (ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله). أي بهدايته ... وهكذا يستمر الغزالي في عرض هذه الفضائل من القرآن الكريم مفسرا إياها على ضوء نزعته الصوفية بصفة عامة.

١٠٨- الغزالي : ميزان العمل ص ٧٠.

١٠٩-د. سعيد مراد : نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام ص ١١٩.

١١٠-الغزالي: المضنون به على غير أهله (مجموعة القصور العوالي) تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا مكتبة الجندي ص ١٦٢.

١١١-د. جمال رجب سيدهم: نظرية النفس بين ابن سينا والغزالي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ ص ٣٠٤.

١١٢- الغزالي : ميزان العمل ، ص ١٠٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مراجع الدراسة

أولا: المصادر والمراجع العربية :

١-إبراهيم (د. زكريا): المشكلة الخلقية الطبعة الثالثة الناشر دار مصر للطباعة ١٩٨٠م.

٢- أبوحيان التوحيدى ومسكويه : الهوامل والشوامل نشره أحمد أمين ، السيد صقر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٥هـ - ١٩٥١م.

٣-أرسطوطاليس : علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ترجمه إلى الفرنسية بارتملى سانتهلير، نقله إلى العربية أحمد لطفى السيد (جزء أول وثانى) مطبعة دار الكتب المصرية-بالقاهرة .

٤- إمام (د. إمام عبدالفتاح): فلسفة الأخلاق ، دار الثقافة للنشر والتوزيع .

٥- ابن سينا : الشفاء (الإلهيات) الجزء الثانى تحقيق الأساتذة د. محمد يوسف موسى ود. سليمان دنيا والأستاذ سعيد زايد راجعه وقدم له د. إبراهيم مدكور.

٦-ابن سينا : رسالة فى علم الأخلاق ، ضمن كتاب تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات، الطبعة الأولى ، ١٩٢٨م.

٧- ابن سينا : الشفاء (الإلهيات) الجزء الأول تحقيق الأستاذين الأب الدكتور جورج شحاته قنواتى والأستاذ سعيد زايد راجعه وقدم له د. إبراهيم مدكور ١٩٦٠م.

٨- التكريتى (د. ناجى): الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام ، دار الشئون الثقافية العامة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨م.

٩- السلجوقى (السفير صلاح الدين): أثر الإمام الغزالى فى الأخلاق بحث منشور فى مهرجان الغزالى فى الذكرى المئوية التاسعة لميلاده ، (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) ، ١٩٦١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٠-الشمالى (د. عبده): تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية ، الناشر دار صادر بيروت.

١١- الطويل (د. توفيق): أسس الفلسفة ، لجة التأليف والترجمة والنشر بمصر، ١٩٥٨م.

١٢- الطويل (د. توفيق): الفلسفة الخلقية الناشر دار النهضة العربية .

١٣-العراقى (د. عاطف): محاضرات فى الفلسفة الإسلامية القاهرة بدون تاريخ.

١٤-العراقى (د. عاطف): الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل طبعة ثالثة ، دار الرشاد.

١٥-الغزالى (أبوحامد): معراج السالكين (القصور العوالى) تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبوالعلا القاهرة.

١٦-الغزالى (أبوحامد): إحياء علوم الدين (٤ جزء) الناشر المطبعة التجارية الكبرى - القاهرة .

١٧-الغزالى (أبوحامد): روضة الطالبين وعمدة السالكين تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبوالعلا - القاهرة .

١٨-الغزالى (أبوحامد): معارج القدس فى مدارج معرفة النفس تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا مكتبة الجندى - القاهرة .

١٩- الغزالى (أبوحامد): ميزان العمل تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا مكتب الجندى - القاهرة .

٢٠-الغزالى (محمد): خلق المسلم الناشر دار الريان للتراث طبعة أولى ١٩٨٧م.

٢١- الفاخورى (د. حنا): تاريخ الفلسفة العربية (جزء ٢) الناشر دار الجيل .

٢٢- القرضاوى (د. يوسف): الخصائص العامة للإسلام الناشر مكتبة وهبة - القاهرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٣-بدوى (د. عبدالرحمن): الأخلاق النظرية ، الناشر وكالة المطبوعات - الكويت .
٢٤- بدوى (د. عبدالرحمن): الأخلاق عند كانت الناشر ، وكالة المطبوعات ، الكويت .
٢٥- بوير (دى) : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة د. محمد عبدالهادى أبوريده مكتب النهضة المصرية .
٢٦-جعفر (د. محمد كمال): مدخل إلى الأخلاق ، كلية دار العلوم ، ١٩٨٠م.
٢٧- جمعة (د. محمد لطفى): تاريخ فلاسفة الإسلام ، علم الكتب ١٩٩٩م.
٢٨-حبائر (د. سعد عبدالعزيز): الفلسفة الخلقية ، الناشر مكتبة سعيد رأفت .
٢٩- دراز (د. محمد عبدالله): دستور الأخلاق فى القرآن (دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن) تعريب د. عبدالصبور شاهين ، الناشر مؤسسة الرسالة .
٣٠- زقزوق (د. محمود حمدى): دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى ، مكتبة وهبة طبعة أولى ١٩٨٤م.
٣١- زقزوق (د. محمود حمدى): مقدمة فى علم الأخلاق، دار الفكر العربى - طبعة رابعة .
٣٢- سيدبى (د. جمال رجب) : نظرية النفس بين ابن سينا والغزالى ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.
٣٣- صبحى (د. أحمد محمود : الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الاسلامى ، الناشر دار المعارف .
٣٤-صقر (د. إبراهيم): الفلسفة الخلقية عند فلاسفة الإسلام مكتبة أم القرى ١٩٩٤م.
٣٥- صليبا (د. جميل): تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتاب اللبنانى ، طبعة ثانية ١٩٧٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٦- عثمان (د. على): الإنسان عند الغزالى تعريب خيرى حماد.

٣٧- مبارك (د. زكى): الأخلاق عند الغزالى الناشر دار الشعب .

٣٨- مدكور (د.إبراهيم): الغزالى الفيلسوف ، بحث منشور فى مهرجان الغزالى فى الذكرى المئوية التاسعة لميلاد (المجلس الأعلى لرعاية الفنـــون والآداب والعلـــوم الاجتماعية) ١٩٦١م.

٣٩-مراد (د. سعيد): نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام تصوير د. عاطف العراقى الناشر مكتبة الأنجلو ١٩٩٢م.

٤٠- مسكويه : الفوز الأصغر ، تقديم د. عبدالفتاح أحمد فؤاد ، دار المعرفة الجامعية .

٤١- مسكويه : تهذيب الأخلاق ، الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٤٢- موسى (د. محمد يوسف): فلسفة الأخلاق فى الإسلام طبعـــة ثالثـــة مؤسســـة الخانجى ١٩٦٣م.

ثانيا : دوائرة معارف:

٤٣- دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الأول مادة " ابـــن مســـكويه " الناشـــر دار الشعب - القاهرة .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1.Burnet (J):Greek Philosophy, Part, Thales to Plato London 1962.

2. Russall (B): History of Western Philosophy 1948.

3. Taylor (AE): Plato the man and his works 1931.

******

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner